

45001 - ينشط في عبادته ثم يعود للمعصية

السؤال

عندى مشكلة أني كلما زادت عبادتى وتحسنـت أحوالى الإيمانـية من أداء النوافل والسنن والمستحبـات ، وقعت فى معصـية العادة السـرية بالرغمـ من أني متزوجـ وأعيش حـياة أسرية سـعيدـة وعندما أمارسـ هذه العادة أحسـ بالذنبـ والذلـ والانكـسارـ بين يـدي اللهـ تعالىـ وأعـودـ وأرفعـ المستوىـ الإيمـانـيـ عنـديـ ثمـ ماـ ألبـثـ أنـ أعـودـ ، حـالـتيـ سـيـئةـ الرـجـاءـ المسـاعـدةـ .

سمـعتـ فيـ أحدـ الأـشرـطةـ أنـ بعضـ النـاسـ يـصـابـ بـالـعـجـبـ عـنـ زـيـادـةـ الـعـبـادـةـ فـيـوـقـعـهـ اللـهـ فـيـ المـعـصـيـةـ حـتـىـ يـشـعـرـهـ أـنـ لـاـ زـالـ عـبـدـ لـاـ يـمـلـكـ أـنـ يـعـجـبـ بـأـعـمـالـهـ فـمـهـاـ قـدـمـ فـكـلـهاـ قـلـيلـ .ـ هـلـ أـنـاـ مـنـهـمـ وـهـلـ مـاـ فـهـمـتـهـ فـيـ الشـرـيـطـ كـانـ صـحـيـحاـ ؟؟ـ معـ الـعـلـمـ أـنـ وـالـحـمـدـ لـلـهـ أـصـلـيـ وـمـلـزـمـ بـأـغـلـبـ تـعـالـيمـ إـسـلـامـ وـلـكـ المـشـكـلـةـ تـكـمـنـ عـنـ زـيـادـةـ الـنـوـافـلـ ؟ـ فـمـاـ هـوـ الـحـلـ ؟ـ سـاعـدـونـيـ جـزاـكـمـ اللـهـ خـيرـاـ .ـ

الإجابة المفصلة

فـماـ ذـكـرـتـهـ مـنـ أـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ قـدـ يـبـتـلـيـ العـبـدـ بـالـذـنـبـ لـيـرـدـهـ إـلـيـهـ ،ـ وـلـئـلاـ يـعـجـبـ بـعـمـلـهـ ،ـ هـذـاـ ذـكـرـهـ بـعـضـ أـهـلـ الـعـلـمـ ،ـ قـالـ اـبـنـ الـقـيـمـ رـحـمـهـ اللـهـ :ـ ”ـ إـنـ الذـنـبـ قـدـ يـكـونـ أـنـفـعـ لـلـعـبـدـ إـذـاـ اـقـتـرـنـتـ بـهـ التـوـبـةـ مـنـ كـثـيرـ مـنـ الطـاعـاتـ ،ـ وـهـذـاـ مـعـنـىـ قـوـلـ بـعـضـ السـلـفـ :ـ قـدـ يـعـمـلـ العـبـدـ الذـنـبـ فـيـ دـخـلـ بـهـ الـجـنـةـ وـيـعـمـلـ الطـاعـةـ فـيـ دـخـلـ بـهـ النـارـ ،ـ قـالـوـاـ :ـ وـكـيـفـ ذـلـكـ قـالـ :ـ يـعـمـلـ الذـنـبـ فـلـاـ يـزالـ نـصـبـ عـيـنـيـهـ إـنـ قـامـ وـإـنـ قـعـدـ وـإـنـ مـشـىـ كـلـمـاـ ذـكـرـهـ أـوـرـثـتـهـ عـجـباـ وـكـبـراـ وـمـنـةـ فـتـكـونـ سـبـبـ هـلـاكـهـ فـيـكـونـ الذـنـبـ مـوـجـبـاـ لـتـرـتـبـ طـاعـاتـ وـحـسـنـاتـ وـمـعـاـمـلـاتـ قـلـبيـةـ مـنـ خـوفـ اللـهـ وـالـحـيـاءـ مـنـهـ وـالـإـطـرـاقـ بـيـنـ يـدـيـهـ مـنـكـساـ رـأـسـهـ خـجـلاـ بـاـكـياـ نـادـمـاـ مـسـتـقـيـلاـ رـبـهـ ،ـ وـكـلـ وـاحـدـ مـنـ هـذـهـ الـآـثـارـ أـنـفـعـ لـلـعـبـدـ مـنـ طـاعـةـ تـوـجـبـ لـهـ صـوـلـةـ وـكـبـراـ وـازـدـرـاءـ بـالـنـاسـ وـرـؤـيـتـهـمـ بـعـيـنـ الـاحـتـقارـ ،ـ وـلـاـ رـيبـ أـنـ هـذـاـ الذـنـبـ خـيـرـ عـنـ اللـهـ وـأـقـرـبـ إـلـىـ النـجـاةـ وـالـفـوزـ مـنـ هـذـاـ الـعـجـبـ بـطـاعـتـهـ الصـائـلـ بـهـ الـمـانـ بـهـ وـبـحـالـهـ عـلـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـعـبـادـهـ ،ـ وـإـنـ قـالـ بـلـسانـهـ خـلـافـ ذـلـكـ فـالـلـهـ شـهـيدـ عـلـىـ مـاـ فـيـ قـلـبـهـ ،ـ وـيـكـارـ يـعـادـىـ الـخـلـقـ إـذـاـ لـمـ يـعـظـمـوهـ وـيـرـفـعـوـهـ وـيـخـضـعـوـهـ لـهـ وـيـجـدـ فـيـ قـلـبـهـ بـغـضـةـ لـمـ يـفـعـلـ بـهـ ذـلـكـ ،ـ وـلـوـ فـتـشـ نـفـسـهـ حـقـ التـفـتـيـشـ لـرـأـيـ فـيـهـ ذـلـكـ كـامـنـاـ ”ـ مـارـجـ الـسـالـكـينـ 1 / 299ـ

وـقـالـ الشـيـخـ اـبـنـ عـثـيمـيـنـ :ـ ”ـ وـمـاـ أـكـثـرـ مـاـ يـكـونـ الـإـنـسـانـ مـنـاـ بـعـدـ الـمـعـصـيـةـ خـيـرـاـ مـنـهـ قـبـلـهـ ،ـ وـفـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـحـيـانـ يـخـطـىـ الـإـنـسـانـ وـيـقـعـ فـيـ مـعـصـيـةـ ،ـ ثـمـ يـجـدـ مـنـ قـلـبـهـ انـكـسـارـاـ بـيـنـ يـدـيـهـ إـلـيـهـ وـتـوـبـةـ إـلـيـهـ حـتـىـ إـنـ ذـنـبـهـ يـكـونـ دـائـمـاـ بـيـنـ عـيـنـيـهـ يـنـدـمـ عـلـيـهـ وـيـسـتـغـفـرـ ،ـ وـقـدـ يـرـىـ الـإـنـسـانـ نـفـسـهـ أـنـهـ مـطـيـعـ ،ـ وـأـنـهـ مـنـ أـهـلـ طـاعـةـ فـيـصـيـرـ عـنـدـهـ مـعـجـبـ وـغـرـورـ وـعـدـمـ الـإـنـابـةـ إـلـىـ اللـهـ مـاـ يـفـسـدـ عـلـيـهـ أـمـرـ دـيـنـهـ ،ـ فـالـلـهـ حـكـيمـ قـدـ يـبـتـلـيـ الـإـنـسـانـ بـالـذـنـبـ لـيـصـلـحـ حـالـهـ ،ـ كـمـاـ يـبـتـلـيـ الـإـنـسـانـ بـالـجـوـعـ لـتـسـتـقـيمـ صـحـتـهـ .ـ وـهـلـ حـصـلـ لـأـدـمـ الـاجـتـبـاءـ إـلـاـ بـعـدـ الـمـعـصـيـةـ وـالـتـوـبـةـ مـنـهـاـ .ـ

كما قال : (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَقَاتَبَ عَلَيْهِ وَهَدَى) طه/122 ، أي : بعد أن أذنب وتاب ؛ اجتباه رب عليه وهداه ، وانظر إلى الذين تخلفوا في غزوة تبوك ماذا حصل لهم ؟ لا شك أنه حصل لهم من الإيمان ، ورفعه الدرجات ، وعلو المنزلة ما لم يكن قبل ذلك ، وهل يمكن أن تنزل آيات تتلى إلى يوم القيمة في شأنهم لو لا أنهم حصل منهم ذلك ثم تابوا إلى الله ”

[الشرح الممتع 3 / 66]

ثم اعلم - أخي الحبيب - أن الواقع في هذه العادة محرم شرعا ، كما دل على ذلك كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق تفصيل الأدلة في السؤال رقم (329) ، كما أن تلك العادة من الأمور المستقبحة فطرة وعقلا ، ولا يليق ب المسلم أن يدنس بنفسه ل فعلها .

واعلم أن المعاصي لها شئم على المرء ، في عاجل دنياه ، وفي أخراء ، إن لم يتتب ، أو يتداركه الله برحمته ، وقد سبق بيان ذلك في الأسئلة التالية (23425 ، 8861)

ثم إن فعل تلك العادة له أسباب ، فابتعد عنها حتى تتخلص منها ، وعليك بما يلي :

1. احرص على مصاحبة الأخيار ، ورفقاء الصلاح والتقوى ، واستفد منهم ومن تجاربهم .

2. داوم على الأذكار وقراءة القرآن ، واجعل لنفسك وردا يوميا لا تختلف عنه .

3. ضع لنفسك برنامجاً مفيداً في تعلم العلوم الشرعية ، أو غيرها .

4. ضع لنفسك برنامجاً رياضياً ، أو اشتراك في ناد رياضي .

5. أكثِر من التوافل ، خاصة صيام التطوع ، فهو وسيلة مهمة لمقاومة الغريزة المتاججة ، وكبح جماح الشهوة .

6. احرص على الدعاء ، وسؤال الله عز وجل أن يخلصك من هذه العادة القبيحة المحرمة ، وأن يقوي من قلبك وعزمك .

7. واعلم أن أضرار العادة السرية فوق ما تحصى ، فهي تتلف الجسم ، وتضعف الجهد ، وتقوي الفجوة بين العبد وربه ، وهي عامل كبير من عوامل الاكتئاب ، والشعور بالذنب .

8. تجنب الوحدة قدر استطاعتك ؛ لأن هذه العادة من عمل الوحدة وأثرها .

9. احرص على الصلاة في المسجد ، وقيام الليل ، فهو أنس للنفس ، وطمأنينة في القلب .

10. وأخيرا عليك بالاستمرار على التوبة ، والبكاء من خشية الله عز وجل ، والانكسار والانطراح بين يديه ، وسؤاله العفو والمغفرة ، وأن تعزم كل مرة عزماً أكيداً لا تعود لفعل تلك العادة ، فإن غالبتك نفسك فغالبها ، وجاهدها **{ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس }**

عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) ، فإن غلبتك فجدد التوبة ، وجدد العهد ، ولا تيأس من رحمة الله ، وأكثر من فعل النوافل والصالحات) وَأَقِم الصَّلَاة طَرْفِي النَّهَار وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْل إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِكَرِينَ هود/114 .

وفقك الله لكل خير.